السنة الأولى جذع مشترك: علوم اجتماعية

محاضرات مقياس: مدخل إلى علم الاجتماع

أستاذة المقياس: حديدان.

المحاضرة الأولى: تعريف علم الاجتماع وموضوعه:

من المفيد أن يعرف الطالب أن علم الاجتماع لم ينشأ من فراغ، بل مهد له مجموع الأفكار والرؤى التي صاغها أصحابها عبر التاريخ البشري، ممثلة في التفكير الاجتماعي.

بدايات التفكير الاجتماعي:

بلاد ما بين النهرين: شريعة حمورابي التي رسم فيها جملة الشرائع والقوانين التي تنظم العلاقة بين الملك والشعب (الحقوق والواجبات، القيم الأساسية من عدالة وإخاء) بما يحقق سعادة البشر

في مصر القديمة: أفكار تنظم بناء الأسرة والدين والسياسة والإدارة، وتحديد الأخلاق والقيم والعادات التي تنظم المجتمع

في الهند القديمة: برزت قوانين مانو التي نسبت لشخصية البراهما، تحدد التعاليم التي توجه الأجيال لتعلم قواعد الحياة الاجتماعية.

عند اليونان: بدا التفكير الاجتماعي أكثر غزارة وواقعية من سابقه. فقد أسس أفلاطون أول جامعة سماها الجامعة الأفلاطونية، وألف كتابه الجمهورية الذي وضع فيه الأسس المثالية للمجتمع، والذي ينبني على ركيزة أساسية هي العدالة.

ومن أهم أفكاره أن المجتمع عبارة عن أنظمة يتصل بعضها ببعض: النظام السياسي، الاقتصادي، الديني، والعائلي، وأي تغير يحدث في نظام ما يؤثر على بقية الأنظمة. مشبها المجتمع بالكائن العضوي. كما حدد العلاقة بين الفرد الذي يمثل المصلحة الفردية والدولة التي تمثل المصلحة العامة.

وقد جاءت تصورات أرسطو لتدرس الإنسان كعضو في جماعة باعتباره مخلوقا يفكر ويعقل (الإنسان حيوان اجتماعي بطبعه). وقد تحدث عن تكوين المجتمع ومقوماته، موليا اهتماما كبيرا بالأخلاق كأساس لبناء مجتمع سليم، معتبرا أن الغاية من الاجتماع الإنساني هي تحقيق سعادة البشر.

وفي الفكر الروماني (شيشرون، سنيكا) برزت المدرسة الابيقورية التي تؤكد على أن كل فرد يدرك مصلحته، لكنه لا يستطيع تحقيقها إلا بالاجتماع البشري والعلاقات مع غيره. (فكرة العقد الاجتماعي)

تميز الفكر الاجتماعي حتى هذه الفترة بسيادة النظرة المثالية والتأملية (وصف ما يجب أن يكون).

أما عند العرب والمسلمين فقد جاءت أفكارهم مؤيدة لإعمال العقل لفهم الواقع الاجتماعي بما فيه نم نظم وظواهر اجتماعية (الاقتصاد، السياسة، الأسرة، الزواج، ...) وأهم المفكرين:الفرابي (السياسة المدنية، أهل المدينة الفاضلة)، أبو حامد الغزالي... وقد كانت أفكارهم أقرب للأخلاق الاجتماعية منها إلى علم الاجتماع.

ولقد شهدت أوروبا ما بين القرن 14 -16 بروز تيارات فكرية مناهضة لسلطة رجال الدين والكنيسة فيما سمي بعصر النهضة الذي ميزته الدعوة لإعمال العقل والعلم لفهم الواقع الاجتماعي.ومن بين أهم التيارات الفكرية لعصر النهضة:

مدرسة العقد الاجتماعي: التي يرى مفكروها أن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، واجتماعه تحول إلى فوضى بسبب استخدامه للقوة في نيل حقوقه، ما استلزم اللجوء إلى عقد (اتفاق) لاختيار فئة حاكمة (الدولة) تسير المجتمع بناء على النظام والعدالة، وفئة محكومة تضمن لها الدولة حقوقها (جون جاك روسو، مونتيسكيو، جون لوك)

مدرسة الفلسفة الاقتصادية: دعا روادها (توماس ملتوس، جون ستيورات ميل، دفيد ريكاردو) لدراسة الاقتصاد كأساس لبناء المجتمع حتى يتحقق الازدهار

مدرسة فلسفة التاريخ: وأهم روادها هيجل الألماني الذي يرى أن العائلة هي اصل الاجتماع والدولة. فالدولة تنشأ أساسا من العائلة، ووجود عدة عائلات يولد مصالح وعلاقات مختلفة يقوم عليها المجتمع.

وعموما فقد تميزت فلسفة عصر الأنوار بضرورة إعمال العقل لفهم الواقع الاجتماعي بعيدا عن التصورات الفلسفية والتأملية والمثالية السابقة.

عوامل ظهور علم الاجتماع:

مهد لبروز علم الاجتماع العديد من العوامل أهمها التغيرات المجتمعية التي شهدتها أوروبا والمتمثلة أساسا في:

بروز حركة الأنوار في أوروبا التي دعت للتخلي عن النماذج التقليدية للتفكير الفلسفي، وفهم الحياة الاجتماعية فهما موضوعيا وواقعيا.

حركة الإصلاح الديني وبروز المذهب البروتستانتي.

المطالب المتزايدة بالحرية، الديمقراطية، العدالة.

الثورة الصناعية وما تبعها من تغير النظم الاجتماعية والسياسية وتشكل الوعي الطبقي.

الثورة الفرنسية والمبادئ التي دعت لها.

ما هو علم الاجتماع؟

ارتبطت تسمية علم الاجتماع Sociologie بعالم الاجتماع الفرنسي أوجست كونت 1838، الذي سماها في البداية بالفيزياء الاجتماعية، لكنه انتهى لاصطلاح السوسيولوجيا للدلالة على العلم الذي يدرس المجتمع.

وعلى الرغم من كونه مطلق التسمية على هذا العلم، إلا أن الباحثين يرون أن تعريفه لعلم الاجتماع ليس دقيقا، وقد حدد موضوعه (الاستاتيكا والديناميكا).

أوجست كونت: العلم الذي يهتم بدراسة البناء الإجتماعي وما به من مؤسسات.

ماكس فيبر:العلم الذي يحاول الوصول إلى فهم تفسيري للفعل الإجتماعي.

هربرت سبنسر: العلم الذي يصف ويفسر نشأة وتطور النظم الإجتماعية.

ويليام أوجبرن: الدراسة العلمية للحياة الإجتماعية.

روبرت ماكيفر: دراسة العلاقات الإجتماعية التي يتكون من نسيجها المجتمع.

يبدو أن تعريف علم الاجتماع ليس مسألة سهلة، لأنه يدرس كل الظواهر المتصلة بعلاقات البشر بعضهم ببعض وبالعيش الاجتماعي ككل.

ما يمكن ملاحظته من هذه التعاريف:كلها تدور حول حول قضايا ومشكلات تحتاج في حد ذاتها للتعريف. وهو ما أوجد إشكالا في تعريف علم الإجتماع، وبالتالي في تحديد موضوعه وميادين الدراسة فيه.

ما هي طبيعة هذا العلم؟

يرى بعض علماء الإجتماع أن هذا العلم نظري، ويرى البعض الآخر أنه علم تطبيقي. بينما يرى فريق ثالث أن هذا العلم نظري تطبيقي، وليس هناك أي حدود فاصلة بين علم الإجتماع النظري وعلم الإجتماع التطبيقي.

علم الإجتماع علم نظري:

الغاية الأولى لهذا العلم هي درسة الظواهر أو النظم الإجتماعية دراسة تحليلية لاكتشاف القوانين والقواعد التي تخضع لها. إذن، فهذا العلم نظري هدفه دراسة النظم والظواهر لغاية واحدة هي المعرفة فقط.

والتطبيق مهمة علوم أخرى تعتمد أساسا على النتائج التي يتوصل لها علم الإجتماع، مثل: الخدمة الإجتماعية، السياسة، التشريع....

علم الإجتماع علم تطبيقي:

في الفترة ما بين 1960 و 1970 ظهر علماء اجتماع عارضوا الرأي السابق، ورأوا أن علم الإجتماع علم تطبيقي يهتم بوضع حقائق الحياة الإجتماعية في مجال التطبيق، وعلى رأسهم A. Gouldner

فالهدف منه هو استخدام المعرفة السوسيولوجية في حل المشكلات الإجتماعية.

علم الإجتماع علم نظري تطبيقي:

فهو مطالب بأن يدرس الموضوعات التي تسهم في تدعيم بنائه النظري وتمكنه من الفهم الشمولي لقضايا المجتمع على المستوى المقارن.

فدراسته لمجالات مختلفة من الحياة الإجتماعية مثل: التربية، الجريمة، الأسرة، التنمية، المستشفى... هي دراسة قاصرة إن توقفت عند المستوى النظري، ولم تتعداه إلى مستوى التطبيق الفعلي.

موضوع علم الاجتماع:

عند ابن خلدون (1332-1406):

المورفولوجيا الإجتماعية: دراسة البيئة والجنس والظواهر الجغرافية وأثرها على العمران.

أصول المدنيات: دراسة الظواهر المتصلة بالبدو والحضر وأصولهم.

السكان: توزيع الأفراد على المساحة والكثافة والتخلخل السكاني.

النظم العمرانية: وتشمل مختلف النظم الإجتماعية مثل: العائلة، النظام الإقتصادي، السياسي، الديني....

عند أوجست كونت1798-1857:

الاستاتيكا: وتهتم بدراسة النظم والبناء الإجتماعي من ناحية التكوين والدور . وتركز على الإستقرار الإجتماعي.

الديناميكا: تهتم بدراسة تطور وتغير المجتمع.

عند إيميل دوركايم 1858-1917:

المورفولوجيا الإجتماعية: تهتم بدراسة البناء الإجتماعي.

الفيزيولوجيا الإجتماعية: تهتم بدراسة الوظائف التي يؤديها هذا البناء.

وعموما، يدرس علم الاجتماع كل قضايا ومسائل الاجتماع البشري من حيث:

الظواهر الاجتماعية.

العلاقات الاجتماعية.

المشكلات الاجتماعية.

بناء المجتمع.

وظيفة المؤسسات الاجتماعية.

العمليات الاجتماعية: التعاون، التفاعل، الصراع، التغير، التنشئة....

من أجل معلومات أكثر راجع:

1- محمد الجوهري، المدخل إلى علم الإجتماع، القاهرة، 2007.

2- محمود عودة، أسس علم الإجتماع، بيروت، د.ت.

3- أحمد رأفت عبد الجواد، مبادئ علم الإجتماع، القاهرة، د.ت.

4- جوردون مارشال، موسوعة علم الإجتماع، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، 2007.